AYDI EST.

Translation – Open Learning

2021-2022

Fourth Year **Second Term**

5

اللغة العربية

25.06.2022

د. علي الكردي

CamScanner

أسعد الله أوقاتكم. . .

اليوم سنلتقي مع شاعر عراقي يُعد من رواد المدرسة الواقعية الاشتراكية.

عبد الوهاب البياتي: هو شاعر عراقي التزم هذه المدرسة وكان أقرب إلى الشيوعية، ومن ثم عبر عن قضايا المهمشين في بلده، وأيد الثورة التي قامت في العراق...

الشاعر الذي سنتناول قصيدته اليوم شاعر عراقي، وهناك تقاطعات بين حياته وحياة بدر شاكر السياب والقصيدة بعنوان (سوق القرية) والأسواق كانت ترتبط بالأيام، سوق الجمعة، سوق الخميس، سوق الاثنين... إلخ.

وفي هذه القصيدة سنرى ماذا حصل... والشاعر البياتي كان يقيم في سورية، حيث كانت سورية دائماً وأبداً الملجأ للكثير من أدباء العراق وهو صاحب الكلمة الحرة.

سنقرأ لمحة عن حياته ... تفضلي يا ابنتي.

عبد الوهاب البياتي: الصفحة ٢٥

ولد البياتي في بغداد عام (ألف وتسعمئة وستةٍ وثلاثين ١٩٣٦)، وتخرج في دار المعلمين العامة فيها عام ١٩٥٠ (ألفٍ وتسعمئة وخمسين)، (ربما يوجد خطأ في تاريخ تخرجه في دار المعلمين)، مدرساً للغة العربية. ولكنه ما لبث أن تحول إلى الصحافة لتكون منبراً له يعبرٌ من خلاله عن معارضته للنظام الملكي في القطر العراقي من جهة، وعن أفكاره اليسارية (الشيوعية) من جهة أخرى.

وقد حصد البياتي نتيجة نشاطه السياسي هذا اغتراباً متجدداً عن وطنه حمله إلى سورية (سورية الأولى زائدة ويفضل حذفها وعدم تكرارها) ومصر ولبنان والنمسا والاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية وإسبانيا، والأردن وسورية حيث وافته المنية في عاصمتها دمشق في الثالث من شهر آب عام ١٩٩٩ م.

عُيِّنَ البياتي عقب انتصار ثورة تموز ١٩٥٨ م (ألفٍ وتسعمئة وثمانية وخمسين) ملحقاً ثقافياً في السفارة العراقية في موسكو، ولكنه سرعان ما تخلى عن هذا المنصب ليدرّس في جامعة الشعوب الإفريقية والآسيوية في موسكو. وتابع بعد ذلك حياة الانتقال والاغتراب التي حفزت الكثير من إنتاجه الشعري الذي كان غزيراً بشكل عام (يفضل القول عموماً بدلاً من بشكل عام).

نشر البياتي عدداً كبيراً من الدواوين الشعرية وذلك إضافة (نقول فضلاً عن بدلاً من إضافة إلى) إلى ترجماته للشعر الأجنبي (بول إيلوار Paul Eluard ولويس أراغون Louis Aragon وغيرهما) ودراساته عنه، ومسرحية يتيمة هي محاكمة في نيسابور

ظهرت عام ١٩٦٣.

من بين مجموعاته الشعرية: ملائكة وشياطين ١٩٥٠، أباريق مهشمة ١٩٥٤ (يوجد خطأ مطبعي في الكتاب حيث إنها كتبت مهمشة)، والمجد للأطفال والزيتون ١٩٥٦، وإشعار في المنفى ١٩٥٧، وعشرون قصيدة من برلين ١٩٥٩، وكلمات لا تموت ١٩٦٠، والنار والكلمات ١٩٦٤، وسفر الفقر والثورة ١٩٦٥، والذي يأتي ولا يأتي ١٩٦٦، والموت في الحياة ١٩٦٨، والكتابة على الطين ١٩٧٠، عيون الكلاب الميتة ١٩٦٩، بكائية إلى شمس حزيران والمرتزقة ١٩٦٩، يوميات سياسي محترف ١٩٧٠، قصائد حب على بوابات العالم السبع ١٩٧١، سيرة ذاتية لسارق ال نار١٩٧٤، كتاب البحر ١٩٧٥، قمر شيراز ١٩٧٥، صوت السنوات الضوئية ١٩٧٩، بستان عائشة ١٩٨٩، ونصوص شرقية صدر قبيل وفاته، وله كذلك في السيرة الذاتية تجربته الشعرية التي صدرت عام ١٩٦٨.

ملحوظة امتحانية: مطلوب حفظ خمسة أعمال للشاعر بدون تواريخ.

ترجمت قصائد البياتي، الذي يعد بحق أبرز شعراء مدرسة الواقعية الاشتراكية إلى الروسية والصينية والفرنسية والإسبانية وغيرها من لغات أوربة الشرقية، أما أبرز دارسيه من العرب المحدثين فهم إحسان عباس، محي الدين صبحي، وصبري حافظ، وخلدون الشمعة وكمال أبو ديب.

طبعاً يُعد البياتي من رواد المدرسة الواقعية الاشتراكية، وهي مدرسة نشأت في الاتحاد السوفييتي السابق وانتشرت على باقي الدول الشرقية والدول التي اعتنقت الاشتراكية مذهباً مثل سورية وتقوم هذه النظرية على التعبير عن هموم العامل والفلاح والمواطن الكادح، التزمت قضايا هاتين الطبقتين وعبرت عنها في الأجناس الأدبية المختلفة، والنصوص التي سارت في فلك الواقعية الاشتراكية ستلاحظون فيها التعبير عن قاع المدن وقاع المجتمعات، الناس البسطاء الذين كانوا مهمشين على امتداد العصور، لكن نجد هؤلاء الأدباء حاولوا أن يعبروا عن هذه الواقع وأن يبشروا بالثورة لينال هؤلاء الكادحين في المجتمع.

والقصيدة التي بين أيدينا هي من الشعر الواقعي الاشتراكي، وهي تصور سوقاً شعبياً وفي هذه القصيدة سينقلكم الشاعر إلى القرن الماضي وإلى المجتمع الريفي البسيط حيث كانت تعقد الأسواق القديمة التقليدية... والأسواق كانت ترتبط بالأيام، سوق الجمعة، سوق الخميس، سوق الاثنين... إلخ.

وفي أسواق القرية يجد الإنسان كل ما يخطر بباله آنذاك، وهناك أيضاً طريقة ثانية

للتسوق في القرى (والحديث هنا نسبي: **نسبة لذاك الزمان**) حيث كان صغار التجار والباعة يجلبون البضائع على الدواب، ما استطاعوا حمله، ويذهبون إلى القرى ويعرضون بضائعهم حيث كانت النساء تجتمع لترى ما لديه... وكان البيع عن طريق المقايضة (بيضة مقابل السكر مثلاً). وقد عاصرت هذه الأسواق في تونس إبان إقامتي هناك وعاصرتها في المغرب.

القصيدة في الصفحة ٢٦: لنقرأها معاً

سوق القرية

الشمسُ والحُمُرُ الهزيلة، والذباب
وحذاءُ جنديٍّ قديم
يتداول الأيدي، وفلّاحٌ يحدّقُ في الفراغ:
في مطلع العام الجديد
يدايَ تمتلئان[1] حتماً بالنقود
وسأشتري هذا الحذاء،
وصياحُ ديكٍ فرَّ من قفصٍ، وقدّيسٌ صغير:
"ما حكَّ جلدكَ مثل ظفركَ" و"الطريق إلى الجحيم
من جنّة الفردوس أقرب" والذباب
والحاصدون المتعبون:
زرعوا، ولم نأكل
ونزرعُ، صاغرين، فيأكلون"
والعائدون من المدينة: "يا لها وحشاً ضرير
صرعاه موتانا، وأجساد النساء
والحالمون الطيّبون"
وخوارُ بقرٍ: وبائعة الأساور والعطور
كالخنفساء تدبُّ: قبرّتي العزيزة، يا سدوم!
لن يصلح العطّار ما أفسد الدهر الغشوم
وبنادقٌ سودٌ، ومحراثٌ ونار
تخبو وحدّادٌ يراود جفنه الدامي النُّعاس

[1] يوجد خطأ مطبعي في الكتاب حيث إنها كُتبت: تملئان بينما هي تمتلئان.

أبداً، على أشكالها تقع الطيور
والبحرُ لا يقوى على غسل الخطايا، والدموع
والشمس في كبد السماء
وبائعات الكرمِ يجمعن السلال:
عينا حبيبي كوكبان
وصدره وردُ الربيع
والسوق يقفز، والحوانيت الصغيرة والذباب
يصطاده الأطفال، والأفق البعيد
وتثاؤب الأكواخ في غاب النخيل.

تعقيب: في سوق القرية هناك حذاء عسكري معروض للبيع، وحلم هذا الشاعر أن يشتري هذا الحذاء، فهذا اقصى أحلامه، وهنا تصوير للبؤس والشقاء... ثم يتحدث عن الإطار المكاني للسوق وبعض الدواب كالحمير الهزيلة...

الفكرة العامة للنص:

نلاحظ في الستة أسطر الأولى وضع الشاعر لنقطتين بعد كلمة " **الفراغ**"، وعلامات الترقيم لها مدلولات كبيرة في الشعر الحديث والنقطتين هو حديث **النجوى** بمعنى أنه يكلم نفسه، وبالنسبة للحذاء الذي ينتقل بين أيدي الزبائن هو دليل المذلة والمهانة، على الرغم من كونه حذاءً قديم.

يجسد هذا النص حياة قرية مليئة بالبؤس والعذابات والتعب والاضطهاد ...الخ، ونجد أنَّ هذا النص مليء بالأمثال، مثال :(**لا يصلح العطار ما أفسد الدهر**).

ويسمّى هذا في لغة الشعر التضمين، **والتضمين** كما سبق وقلنا أنه: وهو عندما يقوم الشاعر أو الكاتب بإدخال أو استعارة جزء من النص في قصيدته أو في كتاباته وهذا يكون إما من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف أو من أشعار لشعراء آخرين.

ينتمي هذا النص إلى مذهب البياتي في اتجاهه الشعري فهو من رواد المدرسة الواقعية الاشتراكية، فأراد البياتي أن يعبر من خلال هذا النص على عدة أفكار **ومن ذلك:**

- وصف شقاء الفلاح والعامل.
- العوة إلى التمرد والثورة على الواقع البائس.

CamScanner

☜ تصوير الغربة والاغتراب.

☜ المناداة بمستقبل زاهر ملؤه الأحلام الوردية.

الدراسة الفنية النص:

⟸ نقل الكلمات الواقعية البسيطة في النص لتكون عالماً شعرياً في غاية الروعة والإتقان، إذ استطاع الشاعر أن يوظّف اللغة اليومية والمفردات الحياتية ليجعل منها بناءً شعرياً في قوله:

وحذاءُ جنديٍّ قديم
وصياحُ ديكٍ فرَّ من قفصٍ، وقدّيسٌ صغير:
وبنادقٌ سودٌ، ومحراثٌ ونار

⟸ وتمتاز هذه اللغة الشعرية أيضاً بجذب القارئ إلى النص إلى عالم الفلاح البريء ليعيش قليلاً مع واقعه المذري بينما الشاعر يلتقط بعض الصور الواقعية من سوق القرية وهذا ما يناسب مذهب الشاعر الذي يتجلى بالواقعية الاشتراكية.

⟸ الإكثار من الأصوات، لماذا أكثر الشاعر من الأصوات؟

وذلك يناسب واقع السوق بكل ما فيه من ضجيج وأصوات متداخلة يجمع بينها أسس الحياة والتطلع إلى مستقبل مغاير لا شقاء فيه ولا ضير.

⟸ **كما تنبع جماليات النص من الصور التي أكثر منها الشاعر، وأبرز هذه الصور جمالاً وتعبيراً:**

والعائدون من المدينة: "يا لها وحشاً ضرير

⟸ صور الشاعر المدينة وكأنها وحش وهذا كناية عن قسوة المدينة وهذا تشبيه بليغ.

وخوارُ بقرٍ: وبائعة الأساور والعطور
كالخنفساء تدبُّ: قبرّتي العزيزة، يا سدوم!

⟸ وهنا شبه الشاعر بائعة العطور والأساور بالخنفساء، ونجد في هذا التشبيه صورة واقعية.

تخبو وحدّادٌ يراود جفنه الدامي النُّعاس

⟸ وهنا شبه الشاعر احمرار جفن الحداد بالدم.

والبحرُ لا يقوى على غسل الخطايا، والدموع

⟸ شبه الشاعر الخطايا بالشيء الذي يُغسل وهذه استعارة مكنية، فالخطايا لا تُغسَل.

عينا حبيبي كوكبان

⟸ شبه الشاعر عيون الحبيب بالكوكب، لشدة اتساعهما وهذا تشبيه بليغ.

وصدره وردُ الربيع

⟸ شبه الشاعر صدر الحبيب بورد الربيع وهذا تشبيه بليغ.

وتثاؤب الأكواخ في غاب النخيل.

⟸ وهنا شبه الشاعر الأكواخ بأناس يتثاءبون وهذه استعارة مكنية.

كل هذه الصور حولت النص إلى مسرح من الحركات وكأنّ الشاعر مصوِّر يرصد حركات الناس في سوق القرية مما وفّر مزيداً من الجماليات الفنية والدقة العالية في تتبع وعرض التفاصيل وأبرزها:

تصوير الواقع البائس (فالنص من أوله إلى آخره يصور هذا الواقع):

والحاصدون المتعبون:

زرعوا، ولم نأكل

ونزرعُ، صاغرين، فيأكلون"

فالفلاح ينتظر ويحلم بامتلاك النقود ليشتري حذاء جندي قديم.

ومن يعمل بالحصاد يتعب ولا يأكل وغيره من أصحاب المال يأكل ولا يتعب وهنا مفارقة كبرى بين حياة الفقراء والمستغلين. وهو أصعب ما يعانيه الفلاح، فهو يلمح في هذه الأبيات على الإقطاعيين كيف أن الفلاح مضطهد.

صاغرين: مجبرين

والعائدون من المدينة: "يا لها وحشاً ضرير

صرعاه موتانا، وأجساد النساء

وقوع المهاجرين من الريف إلى المدينة تحت تأثيراتها المختلفة من الجشع والاستغلال وعودتهم إلى قريتهم بعد أن اكتووا بنار المدينة.

وخوارُ بقر: وبائعة الأساور والعطور

كالخنفساء تدبُّ: قبّرتي العزيزة، يا سدوم!

لن يصلح العطّار ما أفسد الدهر الغشوم

قبرة: نوع من أنواع الطيور تشبه الحمام.

السدوم: مدينة قديمة دُمِّرت بسبب الخطيئة. استلهام من التراث...

الغشوم: الظالم.

وبنادقٌ سودٌ، ومحراثٌ ونار

تخبو وحدّادٌ يراود جفنه الدامي النُّعاس

أبداً، على أشكالها تقع الطيور

أيضاً في السوق نجد بعض الفلاحون يأتيهم الفلاحون ليصلحوا لهم بعض المعدات، وهنا نجد بائعة الأساور والعطور التي تحاول إصلاح ما أفسده الدهر، وسخرية الشاعر بأن العطار مهما حاول الترميم فإنه لن يستطيع تغيير الواقع، وهذا اقتباس وتضمين ودليل ذلك قول أبو الزوائد الأعرابي لزوجته العجوز:

فقال الشاعر:

وعجـــوزٌ تمنّـــت أن تكـــون صـــبيّة وقـــد يـــبس الجنبـــان واحـــدودب

تـــروح إلى العطـــار تبغـــي شـــبابها وهل يصـلح العطـار مـا أفسـد الـدهر

والسوق يقفز، والحوانيت الصغيرة والذباب

يصطاده الأطفال، والأفق البعيـــــد

⟸ اصطياد الأطفال للذباب، وهذا **تصوير للواقع** ومعادل لما ينتشر في سوق القرية وهو واقع سيء جداً لا بدَّ من التمرد عليه وتغييره بواقع أفضل وهذا هو المقصد الأساسي الذي يدعو إليه الشاعر.

أسئلة وتعليقات على النص:

⟸ لماذا جعل الشاعر الحذاء تتداوله الأيدي لا الأرجل (وحذاءُ جنديٍّ قديم يتداول الأيدي)؟

هذا دليل قوي على الفقر المدقع والذل وأنَّ حلم الفلاح لا يتجاوز رؤية حذاء قديم بين يديه.

⟸ **ما حلم الفلاح في مطلع العام الجديد؟**

أن يمتلك النقود أولاً ويشتري هذا الحذاء لقدميه المجردتين الحافيتين.

⟸ **ما دلالة الشمس في السطر الأول من النص؟**

تدلُّ على أنّ سوق المدينة يبدأ من ظهور الشمس صباحاً ومع هذا الظهور يبدأ العناء

والشقاء طيلة النهار.

"ما حكَّ جلدكَ مثل ظفركَ" و"الطريق إلى الجحيم

⇐ ماذا نسمّي ذلك في اللغة الشعرية؟

التضمين، وهو أن نأتي بكلام من القرآن الكريم أو السنة الشريفة أو مصدر شعري أو نثري آخر وتضعه في صلب الكلام الأدبي، وهنا أقتبس الشاعر كلامه من مصدر شعري وذلك ورد في أبيات للشافعي يقول فيها:

مـا حـكَّ جلـدك مثـل ظفـرك فتـولى أنـت جميـع أمـرك

من جنة الفردوس أقرب" والذباب

⇐ لمَ قال الشاعر جثة الفردوس؟

ليجعل وعظ القديس لا قيمة له ولا حياة فيه، فكلماته ميتة لا حياة فيها ولا تؤثر في الآخرين، وما يدعو إليه كالجثة التي لا تقدم ولا تؤخر شيئاً، فيكمل مظهر الشقاء والبؤس في القرية؛ (والقديس **الصغير** هو كناية عن العابد المتفرغ للعبادة، وليد النشأة، صغير الثقافة الدينية والتي أكثر ما تكون مبتذلة وضعيفة وما أكثرهم هذه الأيام).

زرعوا، ولم نأكل

ونزرعُ، صاغرين، فيأكلون" تصوير وضع الفلاحين في ذلك الوقت وهذا دلالة على الاستغلال والظلم والجور بأرزاق العباد. **وهو شبيه بالمثل: "رب ساعٍ لقاعد"**

- **صاغرين**: حال منصوبة وعلامة نصبها الياء لأنه جمع مذكر سالم.

والعائدون من المدينة: "يا لها وحشاً ضرير

صرعاه موتانا، وأجساد النساء

⇐ وصف الشاعر المدينة بأنها وحش ضرير، فلمَ جعل الوحش أعمى؟ وهو كناية عن قسوة المدينة.

ليضرب دون تمييز وتكون ضرباته موجعة أكثر فهو لا يحدد من يستحق الضرب ممن لا يستحقه فتكثر قتلاه ويزداد شراسةً كلما آذى أكثر.

⇐ ما السبب الذي دعا الشاعر للقول :(**موتانا**) ولم يقل (**أحياؤنا**) وهي الأقرب إلى الذهن والتصور والتوقع؟

لأن من يذهب من الريف إلى المدينة فإنه يحكم على نفسه بالموت إذ يترك أهله

وأرضه، فهو ميِّت لمغادرة القرية وميِّت إذ لا مال له ينقذه من وضعه المذري السيء.

وخوارُ بقرٍ: وبائعة الأساور والعطور

كالخنفساء تدبُّ: قبرَتي العزيزة، يا سدوم!

⟸ لمَ شبّه الشاعر بائعة الأساور والعطور بالخنفساء؟

لمشيها البطيء وهذا يدل على أنها كانت عجوز تدبّ دبيباً كما تدبّ الخنفساء وهو كناية عن البطء في الحركة.

أبداً على أشكالها تقع الطيور

⟸ **أبداً**: ظرف زمان يدل على التأبيد، فلمَ قدمه على قول (على أشكالها تقع)؟

ليقول أنَّ وقوع الطيور على أشكالها لا يتغير وحتمي مهما تغيَّرت الأزمنة، فالوقوع دائم لا ينقطع.

والبحرُ لا يقوى على غسل الخطايا، والدموع

هذه مبالغة، فالبحر كثير المياه فكيف لا يستطيع غسل الخطايا والدموع وذلك ليدلّ على كثرة الخطايا ومكوثها وبقائها والتصاقها بمرتكبيها.

عينا حبيبي كوكبان

تشبيه بليغ، (عينا حبيبي): مشبه، (كوكبان): مشبه به، وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه.

فالعينان كوكبان وهو أرقى أنواع التشبيه وأعلاها رتبة، فالعينان كوكبان بذاتهما في الإشراق والضياء. وكوكبان خبر مرفوع بالألف لأنه مثنى.

وصدره وردُ الربيع

⟸ لمَ وصفه الشاعر بورد الربيع؟

تشبيه بليغ وكناية عن الشباب: ليدل على أنَّ الحبيب شاباً في مطلع العمر إذ يتدفق حيويةً ونشاطاً كورد الربيع.

والذباب يصطاده الأطفال، لم جعل الأطفال يصطادون الذباب؟

ليشير إلى قلة وسائل الترفيه واللهو بالقرية، وليدل على فقرهم وسوء حالهم حتى أن الأطفال يحاولون اصطياد الذباب.

وتثاؤب الأكواخ في غاب النخيل، لمَ جعل الشاعر الأكواخ تتثاءب؟

جعلها تتثاءب على سبيل الاستعارة المكنية، فالأكواخ موجودة في غابة النخيل، وهذه

مفارقة عجيبة يريد أن يقول إن الفلاحين يعيشون في فقر مدقع بينما تحيط النخيل بجناها وثمارها، وهم لا يحصدون سوى التعب والشقاء والبؤس.

تميّز نص البياتي بالموضوعية، أين نجد هذه الموضوعية؟

طبعاً كل النص تتخلله الموضوعية، فأي سطر هو مثال على الموضوعية.

لنقرأ في الصفحة ٢٨

- **قراءة في القصيدة:**

تعد قصيدة لسوق القرية لعبد الوهاب البياتي واحدة من عيون الشعر العربي الحديث. ذلك أنها تنطوي على حساسية فنية ونفسية متميزة بوّأت صاحبها مكانة بارزة بين أعلام حركة الشعر الحر في الأدب العربي المعاصر.

وفضلاً عن ذلك فإنها تتمتع بغنىً وحيوية ونضارة ودنيوية لا يماثلها فيها إلا قلة قليلة من قصائد الشعر الحديث. وعلى الرغم من أنها ظفرت بالكثير من الاهتمام بين صفوف دارسي هذا الشعر، فإن ما فيها من غنىً وإبداع يمثل إمكانية مفتوحة دائماً على العربي تذوق جديد.

يستطيع قارئ القصيدة أن يتبين منذ الوهلة الأولى أنه أمام قصيدة عربية حديثة، تُباين، في حساسيتها الفنية والنفسية، القصيدة العربية الكلاسيكية (التقليدية) المألوفة - قصيدة استطاعت تحقيق المعادلة الصعبة في جمعها بين الهوية العربية من جهة، وانتمائها للعصر الذي نظمت فيه من جهة أخرى.

- **لا تمييز بين لغة شعرية ولغة غير شعرية: فكرة مهمة جداً**

ولعل أول ما يلفت انتباه القارئ لهذه القصيدة هي أنها قصيدة تتنكر لمبدأ وجود لغة شعرية poetic language متميزة عن (من بدلاً من عن) لغة الحياة اليومية - every day language ومباينة لها.

فليس ثمةَ في هذه الأخيرة شيءٌ (اسم ليس) لا يرقى إلى مستوى الشعر، والأمر يتوقف أولا وأخيرا على توظيف اللغة توظيفاً شعرياً جمالياً هو سر أدبية الأدب Literariness وشعرية الشعر Poeticity.

إن الحمر الهزيلة والذباب، وحذاء الجندي القديم، وسذاجة الفلاح، والوحش، وخوار البقر، والأكواخ المتثائبة، وغيرها من لغة الحياة اليومية، كل أولئك يتحول في القصيدة، إذ يوظف شعرياً، إلى لغة شعرية، تتميز بالقدرة على النفاذ إلى وعي قارئ ونفسه

وروحه بإمكانية الإيقاع به، واجتذابه إلى عالمها البسيط الساذج المفعم بالبراءة والجدة والحياة معا.

- **قصيدة متعددة الصوت Polyphonic Poem:**

والواقع أن سر هذه الحياة التي تزخر بها القصيدة يكمن في تعدد الأصوات فيها. فعلى حين أننا نجد **أنا الشاعر**، هي القصيدة العربية الكلاسية سواء أكان يغني ذاته، أم ينقل لنا على نحو غير مباشر عوالم الآخرين ممن تضمهم قصيدته، نفاجأ، في قصيدة البياتي، بوجود أكثر من "أنا " تطل علينا، وتملأ المشهد حيوية وتعددية واجتماعية في آن واحد.

✓ **فهناك أولا صوت الفلاح** الذي يتداول حذاء الجندي القديم يديه مثلما يتناول الأيدي الأخرى، يحدث نفسه حديثاً مسرفاً في سذاجته الساحرة:

في مطلع العام الجديد
يداي تمتلئان حتماً بالنقود
وسأشتري هذا الحذاء

✓ **وهناك ثانياً هذا القديس الصغير** -شبه المتعلم، كما يصفه الدكتور إحسان عباس. الذي يوزع الحكمة في هذه السوق الحقيرة، ينشر ما كان قد تعلمه، يردده دون كبير تفكير أمثالاً تنسجم غاية الانسجام معا المشهد بجملته:

ما حك جلدك مثل ظفرك
والطريق إلى الجحيم من جنة الفردوس أقرب

✓ **وهناك ثالثاً صوت أولئك الحاصدين المتعبين**، يحدثون أنفسهم حديثا يبعث على الأسى من جانب، والتمرد والثورة من جانب آخر: ازرعوا، ولم نأكل ونزرع، صاغرين: فيأكلون

✓ **وهناك رابعاً: صوت العائدين من المدينة**، يرثون ضحاياها. إنها الوحش الذي أخفقوا في حل لغزه، وبالتالي انضموا إلى صرعاه:

يا لها وحشة ضريرة صرعاه موتانا،
وأجساد النساء والحالمون الطيبون

✓ **وهناك خامساً الصوت** الذي يخاطب بائعة العطور: قبرتي العزيزة، يا سدوم؛ لن

يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم.

✓ وهناك **سادساً الحداد** الذي أرهق عينيه النعاس؛ والحر، والتعب، فأرسل حكمته، ينفث فيها شجونه، ويسري عن نفسه بها:

أبداً على أشكالها تقع الطيور

والبحر لا يقوى على غسل الخطايا والدموع

وهناك سابعاً، **أغنية الصبايا**، بائعات الكرم التي تتدفق دفئاً وحنيناً وتطلعه إلى الآخر، وحباً له: **عينا حبيب كوكبان**

وصدره ورد الربيع

وإضافة إلى جميع هذه الأصوات، هناك أصوات الحمر الهزيلة، وطنين الذباب، وصياح الديك، وخوار البقر، وطرق الحديد وأوار نار الكير[٢]، وصخب الأطفال. وكل ذلك يشيع في المشهد حياة، أقل ما يقال إنها مثيرة للفضول، لما فيها من جدة وغنى الطيور، وتنوع.

ملحوظة امتحانية: قد يأتي سؤال عن الشخصيات والأصوات والاستشهاد بها من النص.

- **تقرير مصور**

والواقع أن القصيدة تكاد تكون تقريراً مصوراً حملته إلينا كاميرا مصور تلفازي ركزت على لقطات موحية جداً من حياة سوق القرية، التي تبدأ بظهور الشمس وتنتهي بعيد الظهر وقد عاد كل مشارك فيها إلى كوخه الحقير الذي يتثاءب كلاً في غاب النخيل. وربما كان هذا النمط من التصوير سر درامية القصيدة من جهة، وموضوعيتها من جهة أخرى.

- **موضوعية صارخة:**

وهذه الموضوعية لا تكمن فقط في الحيز الضئيل الذي يشغله السرد narrative في القصيدة، ولا في الأصوات المتعددة التي تملؤها حياة وحسب، ولا في اللقطات الموحية المثيرة ببراءتها وسذاجتها وعمقها في آن معا فقط، بل في الانسلاخ التام الذي يباشر فيه الشاعر قصيدته أيضاً. لقد حقق البياتي انفصالاً يكاد يكون تماماً بينَ أناه الشاعرة

---

[٢] الكير: هو الأداة التي يُنفخ فيها الحديد عند صهره.

وبين عالم قصيدته، فلم يكد يفارق [illegible] شيء.

إنَّ القصيدة غنائية Lyrical وقصصية narrative، ومسرحية dramatic في الوقت نفسه. إنها على نحو من الأنحاء جماع العالم الشعر، أو لنقل ارتداده إلى أصوله الأولى. وربما كان هذا أحد أسباب جاذبيتها، واستمرار حياتها في ذهن المتلقي لمدة طويلة.

- **انغماس في الواقع:**

وإضافة إلى كل ما تقدم، نلاحظ أن القصيدة غارقة إلى أذنيها في الواقع. وإذا ما تساءل المرء عن مواصفات هذا الواقع، فإنه سيجد أنه الواقع الحقير الذي طالما ابتعد عن عالم شعرنا. إنه الواقع الذي ما سما يوماً ليبلغ الشعر، وما ارتقى من قبل ليسمق إلى عالم الفن.

- **قصيدة مفارقات:**

وكما هو شأن الواقع، فإن القصيدة تزخر بالمفارقات، فحذاء الجندي القديم تتناوله أقدام العديد من الجنود قبل أن يستنفد حياته في الخدمة العسكرية ولكنه في القصيدة، وما إن يستنفد (يستنفد بالدال وليس بالذال) حياته الأولى، ويبدأ مواته، حتى يمارس دوراً إيجابياً على خلاف دوره هناك في الجيش. إنه هو الذي يتداول هنا، ولكنه لا يتداول الأقدام، بل الأيدي. فهل ثمة مفارقة أكثر عمقا من هذه المفارقة؟

إنه عالم الفقر الحافل بالمفارقات. والحكمة تصدر عادةً عن الخبرة والنضج، ولكنها في هذا العالم تأتي من القديسين الصغار الذين لم يؤتوا خبرة، ولا علماً حقيقياً، إنهم كالببغاوات يرددون ما سبق أن تعلموه، أو لُقِّنُوه في المدارس.

في وكذلك فإننا كثيرا ما نردد " من زرع حصد، ولكن هذا المثل الواسع الشيوع يتحول في عالم القصيدة من يزرع لا يحصد، وإنما من يحصد هو غيره. وأكثر من هذا فإن هذا الغير لا يمت بأية صلة قرابة، أو ما شابهها إلى أولئك الزارعين. إن الفلاح لا يمكن أن يحلم حتى بأن يحصد أبناؤه أو أحفاده زرعه. وبائعة الأساور والعطور، واهبة الجمال لكل ما أفسده ومن أفسده الدهر. تدب كالخنفساء. وهل ثمة مفارقة أعمق من هذا التناقض الذي يسخر الشاعر من خلاله من هذا الواقع وعلى نحو خفي عندما يجعل صوت ما يناديها مشفقة ومتشفية، وهادئة في آن معاً: " **قبرتي العزيزة يا سدوم لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم**".

- **إلفة حميمة:**

وربما كان من المهم الإشارة في النهاية إلى أن المواجهة لهذا العالم -**عالم سوق القرية**-لا يملك إلا أن يحب ما فيه، ومن فيه من جهة، ويثور بما فيه وبمن فيه من جهة أخرى. إنه الفن الذي يحفز الإنسان على التغيير، على التجاوز، على البحث عن عالم مغاير لعالمه الذي يسود فيه الظلم والفقر والبؤس والجهل والبراءة أيضاً.

أظن إذن أنَّ هذه الإضاءة على القصيدة قد أعطتكم صورة واضحة حول القصيدة... كل ما قرأناه مطلوب للامتحان.

الآن عودوا إلى النص لنطبق بعض الإعراب:

يدايَ تمتلئان حتماً بالنقود

- **يدايَ:** مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة والياء ضمير متصل مبني في محل جر بالإضافة.
- **تمتلئان:** فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والألف ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل وجملة (**تمتلئان**) في محل رفع خبر.

- أين نجد الفعل (**تخبو**) في معجم يأخذ بأواخر الكلمات؟

نعيدها إلى أصلها (خبا، ونعيد الألف إلى أصلها) تصبح (خبوَ) ونجدها في باب **الواو والياء** (إذا كتبتم بالامتحان باب الواو فقط تذهب العلامة).

- اين نجد كلمة (**يصطاده**) في معجم يأخذ بأواخر الكلمات؟

نجرده ونعيدها إلى أصلها: فتصبح **صادَ** باب الدال فصل الصاد، وقد يسأل سائل لماذا حذفنا الطاء وهي ليست من أحرف الزيادة المجموعة في كلمة (**سألتمونيها**)؟ والجواب لأن أصلها تاء فحدث هنا ما يسمى بالعربية إبدال.

نتابع إعراب بعض المفردات من القصيدة:

- **صاغرين:** حال منصوبة وعلامة نصبها الياء لأنها جمع مذكر سالم والنون عوضاً عن التنوين في الاسم المفرد.
- **يجمعُن:** فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة والنون ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

***

CamScanner

فائدة: الأفكار الرئيسة في النص: وفق أرقام الأبيات

- (١-٦): تصوير فقر الفلاح وحلمه بشراء حذاء قديم.
- (٧-٩): وصف الوعّاظ الذين يكررون ما حفظوه دون وعي أو تجديد.
- (١٠ – ١٢): بؤس حياة الحاصدين.
- (١٣ – ١٥): تصوير العائدين من المدينة وتأثيرها عليهم ووصفها بالوحش الضرير.
- (١٦ -١٨): وصف بائعة الأساور والعطور.
- (١٩ – ٢٣): وصف الحدَّاد المرهق.
- (٢٤ – ٢٦): وصف بائعات العنب وأغانيهن الدافئة والملأ بالحنين.
- (٢٧ – ٢٩): البحث عن عالم مغاير لواقع يسوده الظلم والفقر والبؤس.

لمّت

احذر المحاضرات المسروقة!

[مكتبة العائدي لا تنشر محاضراتها على الإنترنت ونحن لا نتحمل مسؤولية أي نقص أو تشويه أو تزوير تجده في تلك المحاضرات. فالمرجع الرئيسي للمحاضرات هو المحاضرات الورقية فقط والتي يمكنك الحصول عليها من مقر مكتبة العائدي في المزة – نفق الآداب]

Page: مؤسسة العائدي للخدمات الطلابية

Group: مكتبة العائدي - التعليم المفتوح - قسم الترجمة

- مكتبة العائدي: المزة- نفق الآداب
- هاتف: 011 2119889
- موبايل + واتساب: 0941 322227

025394